جماعة الديوان

عبد الرحمن شكري
١٨٨٦ ـ ١٩٥٨م

شاعر من الرواد في تاريخ الأدب العربي الحديث، فهو ثالث ثلاثة من أعمدة مدرسة الديوان التي وضعت مفهوماً جديداً للشعر في أوائل القرن الميلادي الماضي أما صاحباه فهما العقاد والمازني. وما أكثر الدراسات عنهما وما أقلها عن شكري!!

كان عبدالرحمن شكري شاعراً مجدداً ومفكراً أصيلاً حريصاً على اللغة العربية الفصحى، كما كان ناقداً لعبت آراؤه النقدية دوراً كبيراً في الأدب العربي الحديث، ووجهته نحو وجهة تجديدية بناءة.

نشأته وحياته:

- ولد عبدالرحمن شكري في مدينة بورسعيد، إحدى مدن مصر.
- وتعلم في طفولته في كتّاب الشيخ محمد حجازي ثم في مدرسة الجامع التوفيقي الابتدائية . وحصل منها على الشهادة الابتدائية . ثم انتقل إلى الإسكندرية فالتحق بمدرسة رأس التين الثانوية ومنها حصل على شهادة البكالوريا التي أهلته للالتحاق بمدرسة الحقوق في القاهرة، ولكنه فصل منها لاشتراكه في المظاهرات التي نظمها الحزب الوطني في ذلك الوقت لإعلان سخط المصريين على الاحتلال البريطاني لمصر ووحشية الإنجليز في حادثة دنشواي.

- انتقل شكري إلى مدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها عام ١٩٠٩ وكان متفوقاً، ولاسيما في اللغة الإنجليزية. فتم اختياره في بعثة إلى جامعة شيفلد بإنجلترا. فدرس فيها خلال ثلاث سنوات الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والفلسفة إلى جانب اللغة الإنجليزية وعاد منها عام ١٩١٢.

وقد تعارف شكري والمازني وهما في مدرسة المعلمين العليا. وكان شكري قد أصدر ديوانه الأول « عند الفجر » وهو طالب عام ١٩٠٩. وبعد عودته من إنجلترا قدمه المازني إلى صديقه العقاد فتصادقا وتزعم ثلاثتهم (شكري والعقاد والمازني) اتحاد الدفاع عن التجديد في الشعر والأدب. وأطلق عليهم مدرسة الديوان نسبة إلى كتاب الديوان الذي وضعه العقاد والمازني ولم يشترك فيه شكري. بل تضمن الكتاب نقداً لشكري بقلم صديقه المازني. وقد استمدت هذه المدرسة الأدبية مبادئها من معين الأدب الإنجليزي.

وبعد عودته من إنجلترا عين بالتعليم الثانوي مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية والترجمة ثم ناظراً فمفتشاً إلى أن أحيل للمعاش حسب طلبه سنة ١٩٣٨. أي بعد حوالي ستة وعشرين عاماً قضاها في خدمة التربية والتعليم في مصر. ولخروجه إلى المعاش قصة. فلقد وقع عليه ظلم وطيفي منعه من الترقي. لأنه كان قد نظم قصيدة بعنوان « أقوام نادوا » فغضب رؤساؤه عليه وصاروا يحرضون عليه لأنهم ظنوا أنه يصفهم. فخرج إلى المعاش بمرتب بسيط لا يكفيه ولا يكفي من يعولهم. حيث كان – يرحمه الله – يعول أسرة شقيقه في مرضه وبعد وفاته. وهذا ما جعله يعيش بلا زواج طوال حياته. لقد يئس شكري من عدالة الناس فأحرق جميع ما لديه من نسخ مؤلفاته ودواوينه. وأصيب بضغط الدم ثم بالشلل الذي

جعله يعتزل الناس والحياة حتى انتقل إلى جوار ربه في الإسكندرية يوم الاثنين الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٥٨ مستريحاً من ظلم الناس له.

شكري.. الناقد:

في بداية القرن الميلادي الماضي تزعم شكري والعقاد والمازني اتجاه التجديد في الشعر والأدب، وأطلق عليهم مدرسة الديوان. ويرى بعض الباحثين أنه لم يكن العقاد في البداية هو رأس هذه المدرسة الأدبية وعقلها وروحها، بل كان ذلك الرأس والعقل والروح هو عبدالرحمن شكري الذي درس في إنجلترا وعاد منها مثقفاً أكاديمياً واسع الاطلاع على الآداب الغربية بعامة، وعلى الأدب الإنجليزي بخاصة في حين كان الآخران العقاد والمازني، مثابة من حصّل العلم تحصيلاً ذاتياً وعلى غير مقاعد الدراسة الثانوية والجامعية.

ويقول هؤلاء الباحثون إن شكري، لا العقاد ولا المازني، بالطبع هو مؤسس مدرسة الديوان. وقد بدأت هذه المدرسة بديوان شكري الأول «ضوء الفجر» الذي صدر سنة ١٩٠٩ والذي اعتبر البداية الحقيقية، وبعده توالت إصدارات الآخرين. ومنها يوميات العقاد. ثم نشر المازني والعقاد في عام ١٩٣١ كتابهما «الديوان» للهجوم على شوقي وحافظ والمنفلوطي، رداً على تحرير مجلة عكاظ لشوقي.. فاتخذت المدرسة اسمها من ذلك الاسم.

ويقول الدكتور مختار الوكيل في كتابه «رواد الأدب الحديث» إن شكري هو الذي كان يوجه زميليه في نواحي الأدب العربي. ويعتبر سامح كريم أن شكري هو رائد مدرسة الديوان. فقد كان مبشراً بفكرتها، ملتزماً قيمها، مجسداً لعملها كما كان مثالاً للطهارة المفطورة في صدقه وتواضعه، في علمه وثقافته، في سلوكه

ومنهجه. يؤيد ذلك الدكتور محمد مندور الذي اعتبر شكري الرائد الملتزم، والممثل الأصيل لقواعد وأهداف المدرسة. أما العقاد، فقد امتدح، في جريدة الجهاد، عام ١٩٣٤، ذوق شكري النقدي، وإن أنكر أن يكون صاحب فضل عليه.

أما عن مفهوم الشعر عند عبدالرحمن شكري فهو يرى أن الشعر ضرورة وليس ترفاً، لأنه يصور الحياة الإنسانية بخيرها وشرها كما يعبر عن خوالج النفس البشرية..

« يقولون: إن الشعر ليس من لوازم الحياة، ولو جاز لنا أن نعد الإحساس غير لازم للحياة أو التفكير غير لازم للعقل لجاز لنا أن نعد الشعر غير لازم للحياة أليس مجال الشعر الإحساس بخوالج النفس وما يعتورها؟.. وأن الشعر أجلّ عمل في حياة الشاعر وأساس حياته؟ ».

ويرى أن للشعر عناصر من أهمها التصوير والخيال والعاطفة والفكرة ورفض مبدأ المبالغة والمغالطة في الشعر..

قيل عنه :

يقول العقاد، لعبدالرحمن شكري فضل الرائد الذي سبق زمانه في عدة حسنات مأثورات. فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة وإلى التصرف في القافية على أنواع التصرف المقبول. فنظم القصيدة من وزن ومقطوعات متعددة القوافي ونظمها مزدوجات وأبياتاً من بحر واحد بغير قافية ملتزمة، وتسنى له في جميع هذه المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص في أدبنا الحديث.

رفض شكري شعر المناسبات واتجه بشعره إلى التأمل الوجداني. فجاءت قصائده في نقد مظاهر الشر ومظاهر الانحطاط الخلقي في نفوس الناس ووصف الموت ووصف حالات النفس الإنسانية المختلفة.. آلامها وآمالها.

وكما انعكست ثقافة شكري العربية في أدبه وشعره كان للثقافة الغربية بوجه عام وللثقافة الإنجليزية بوجه خاص انعكاسات كثيرة.. يقول عن الشاعر الإنجليزي بيرون:

« وإما راقني ما رأيته من قوة شعره واندفاعه اندفاع السيل الآتي وثورته على الأكاذيب، وقد علمني بيرون نشدان الحرية وإن كنت لا أنتصر على طريقة السياسي وإنما على طريقة الفنان ».

كما تأثر شكري بالأديب الألماني جوته. ودلك من خلال قراءته بالإنجليزية لسيرته وآثاره من حبه للمعرفة وتعدد جوانب ثقافته ومحاولته الاستفادة من كل مذهب ومن كل إنسان دون تعصب أو ضيق أفق. ومن ثم يرى شكري في جوته امتداداً ثقافياً للشيخ المرصفي: « وقد أتممت معرفتي بأقوال جوته الألماني وقدوته ما بدأته معرفتي بسعة اطلاع الشيخ المرصفي الكبير في كتاب الوسيلة الأدبية من توخي الثقافة المتعددة الجوانب ».. ويذكر أنه تأثر في قصيدته « سحر الربيع » بقصيدة لجوته..

من رائع شعره :

في قصيدة « وارحمة الناس » ينفذ شكري إلى أعماق النفس البشرية فيدرك ضعف الإنسان ويمتلئ قلبه رحمة للناس. وحتى الأشرار منهم يرى أنهم أولى بالعطف لأنهم معذبون بشرورهم.. **يقول:**

تعلمني الأقدار أن أرحم الورى

فقلبي لكل العالمين رحيم

وأنظر في نفسي وأعرف عذرهم

على شرّهم داء النفوس قديم

وإن جميع الناس أهلي وإخوتي

وإن كان فيهم جارم وذميم

كما اهتم شكري بالإصلاح الاجتماعي فعالج بعض المشاكل الاجتماعية في قصائده، مثل مشكلة الطفولة وما يصيب الطفل من يتم ومرض. كما اهتم بمشكلة الجهل والفقر. وكان يرى أن حمال الحياة إنما هو هبة العباقرة والمصلحين الذين لهم الفضل في تغيير مجرى تاريخ البشرية.

يقول في قصيدة بعنوان «اليتيم»:

ومـــا اليـــتم إلا غربـــة ومهانـــة

وأي قريـــب لليتـــيم قريـــب؟

يمر به الغلمـــان مثنـــى وموحـــداً

وكل امرئ يلقـــى اليتـــيم غريـــب

يـــرى كـــل أم بابنهـــا مســـتعزة

وهيهات أن يحنـــو عليـــه حبيـــب

يسائله الغلمان عـــن شـــأن أهلـــه

فيحزنـــــه ألا يجيـــــب مجيـــــب

إذا جاءه عيد مـــن الحـــول عـــاده

من الوجد دمـــع هاطـــل ووجيـــب

كأن سرور النـــاس بالعيـــد قســـوة

عليه تريق الـــدمع وهـــو صـــبيب

عزاؤك لا يلملم بـــك الضـــيم إننـــا

يتـــامى ولكـــن الشـــقاء ضـــروب

فهذا يتـــيم ثاكـــل صـــفو عيشـــه

وذاك من الصحب الكـــرام ســـليب

ويقول في قصيدة :

مصارع النجباء

إن الحيـــاة جمالهـــا وبهاؤهـــا

هبـــة مـــن النجبـــاء والشـــهداء

الحـــالمون بكـــل مجـــد خالـــد

سامي المنـــال كمنـــزل الجـــوزاء

الغاضبون الناقمون علـــى الـــورى

هبوا هبوب الصرصـــر الهوجـــاء

الخـــالقون المهلكـــون الشـــارعون

المرســـلون بآيـــة عـــزاء

آي الجلالـــة والـــذكاء جميعيـــا

فـــيهم علـــى الســـراء والضـــراء

فلـــئن أصـــابهم الزمـــان بمهلـــك

قبـــل ابتنـــاء منـــازل العليـــاء

فحيـــاتهم وفعـــالهم ودمـــاؤهم

مثل الهـــدى وكواكـــب الإســـراء

كما كان شكري يعشق الحرية، حتى بلغ من تمجيده للحرية أن أعلن أن خطأ الأحرار أفضل من إصابة العبيد.. **يقول:**

إذا ما أصاب العبد في بعض فعلـــه

فما الفضل إلا للـــذي هـــو آمـــره

وإن أخطـــأ الحـــر الأبـــي فإنـــه

لأفضل من عبد تهـــون مصـــادره

فلا تحسد العبـــدان مجـــداً مـــؤثلاً

بنـــاه لهـــم رب طغـــاة أوامـــره

وهل يرفع الإنسان فضـــل أصـــابه

إذا كان يزجيه إلى الفضل زاجـــره

فيا رُبَّ مجـــد فـــي الإبـــاء مشـــيد

وإن لم تـــبن للصـــاغرين مـــآثره

وكان ثورة على الاستعمار وظلمه، وكم صوّر في قصائده جرائم المستعمرين وأساليبهم الخبيثة في حكم الشعوب والسيطرة عليها، كما يؤكد أن طغيان الأقوياء

إنما سببه خنوع الضعفاء وتزلفهم... **يقول شكري في قصيدة بعنوان «جنون الأقوياء»:**

وقديماً جن القوي بما طاع

له من تزلف الضعفاء

وضعوه في منزل الله كفراً

فطغى واستباح سفك الدماء

ورأى الخير والفضيلة ما شاء

وإن كان من أذى الأدنياء

ورأى الشر والكبائر ما عاف

وإن كان سيرة الأبرياء